



Sheikh M o h a m m a d H a s s a n V a k i l i

وحدت وجود از شاخصه‌های شیعه در عصر صفویه

تاریخ انتشار: شنبه ۳ ربیع‌الثانی ۱۴۳۶

هو العالی

عقیده وحدت وجود از عصر خواجه نصیرالدین طوسی به صورتی عقیده کاملاً رسمی در جهان شیعه تبدیل شد و از عصر صفویه به علت دفاع علمای بزرگ شیعه (چون دشتکی و شیخ بهائی و ملا محمدتقی مجلسی و فیض کاشانی و ... که بعضاً صاحب منصب شیخ الاسلامی در حکومت صفویه بودند)، این عقیده در بستر اجتماعی و فضای عمومی رواج یافت به طوریکه در آن عصر یکی از شاخصه‌های شیعه در برابر سنیان افراطی عثمانی «اعتقاد به وحدت شخصیه وجود» مطرح می‌شد و در نقدهای سنیان عثمانی بر شیعه بر وحدت وجودی بودن شیعیان تاکید شده است. متن ذیل سند ارزشمندی است در این باب ...

اعتقاد به توحید قرآنی و وحدت شخصیه وجود از صدر اسلام در میان خواص وجود داشته است و در روایات معارفی فراوانی بدان اشاره شده است که در همین پایگاه در مقالات مختلفی بدان پرداخته شده است. (مقالات وحدت وجود)

با این وجود از عصر خواجه نصیرالدین طوسی به صورتی عقیده کاملاً رسمی در جهان شیعه تبدیل شد (رک مقالات خواجه نصیر طوسی و عرفان) و از عصر صفویه به علت دفاع علمای بزرگ شیعه (چون دشتکی و شیخ بهائی و ملا محمدتقی مجلسی و فیض کاشانی و ... که بعضاً صاحب منصب شیخ الاسلامی در حکومت صفویه بودند) از این عقیده، این عقیده در بستر اجتماعی و فضای عمومی رواج یافت به طوریکه در آن عصر یکی از شاخصه‌های شیعه در برابر سنیان افراطی عثمانی «اعتقاد به وحدت شخصیه وجود» مطرح می‌شد و در نقدهای سنیان عثمانی بر شیعه بر وحدت وجودی بودن شیعیان تاکید شده است. متن ذیل سند ارزشمندی است در این باب که در کتاب طبقات اعلام الشیعه مرحوم شیخ آقابزرگ طهرانی قدس سره در ذیل نام میرداماد (الروضة النضرة فی علماء المائة الحادية العشرة. ص ۶۷-۷۰) و به بهانه تشریح دفاع میرداماد از قدم زمانی عالم و حدوث دهری ذکر شده است.

نگارنده تحلیل‌های تاریخی متن ذیل را تأیید نمی‌کند و برخی از آن را خلاف واقع می‌پندارد (خصوصاً که متن نوشته حاکی از آنست که از خود مرحوم شیخ آقابزرگ نیست و احتمالاً قلم فرزند ایشان می‌باشد)، در عین حال گزارش‌های تاریخی آن از فضای شیعی و سنی و عقائد رائج شیعه در آن دوران برای بررسی تاریخ کلام و عقائد شیعی قابل ملاحظه و تأمل است؛ خصوصاً برای جماعتی از ناآشایان که گمان می‌کنند اعتقاد به توحید قرآنی و وحدت وجود چیزی است که در دهه‌های اخیر و پس از انقلاب اسلامی و یا در صده اخیر در شیعه رواج یافته است.

«یری فی القرنین العاشر و الحادی عشر، نوع سباق غیر معین آشیر الیها فی (ذ ۲۴:۲۹۲ و ذ ۲۵:۲۷-۲۸) بین الخلافة التركیة العثمانیة السنیة فی اسطنبول و بین الدولة الشیعیة فی ایران، فی التظاهر بالدیانة، مثل الذی

جرى بين السفير الايراني قاضى خان سيفى القزوينى الآتى (ص ٤٥٥) و بين أحمد الثالث العثماني و المفتى الاعظم و القضاة باسطنبول سنة ١٠٢٠، و مثل المشاجرات التى جرت بين نوح افندى م ١٠٧٠ و بين على نقى الكمرهاى (ذ ٥ قم ٢٣٨).

و بما أنّهم كانوا يرون العرفان القزلباشى و أدبه رائدا للدّعاية الشيعية أسسوا الفرقة «البكتاشية» و حرّموا قراءة بعض الكتب الفارسية و أفتى أبو السعود مفتى استانبول م ٩٨٢ بالاحتراز عن «ديوان الحافظ الشيرازى» و أورد الجلبى هذا الفتوى فى كشف الظنون فى ذلك الديوان و كان كلّ من استانبول و اصفهان يتّهم الآخر بتهم فلسفية دينية. فالشيعة الايرانيون يتّهمون العثمانيين بانحرافهم عن الاسلام الحقيقى المتجلى فى الأئمة المعصومين من أهل بيت النبوة (عليهم السلام).

و العثمانيون و أنصارهم من أهل السنة، كانوا يتّهمون الشيعة بتهم منها أنهم:

١- أنّهم رافضون للخلافة و منشقون عن الوحدة الاسلاميّة.

٢- أنّهم تاركون للصلاة (أى صلاة الجمعة).

٣- أنّهم قائلون بوحدة الوجود فى الخالق و المخلوق.

٤- أنّهم قائلون بقدّم العالم.

٥- أنّهم منكرون للمعاد الجسماني.

فالأول لرفضهم إحقاق ايران بالخلافة التركية، و هذا هو الذى أكد عليه ميرزا مخدوم الشريفي (-العاشرة ص ٢٤٥) الذى صار صدرا لحكومة الشاه إسماعيل الثانى بقزوين و بعد عزله و هربه الى الروم كتب «نواقض الروافض» (ذ ٢٩١:٢٤).

و يقصدون بالثانى اشتراط حضور الامام المعصوم او نائبه الخاص فى وجوب صلاة الجمعة على فتوى الشيخ الطوسى و أكثرية من تبعه من العلماء.

و يقصدون بالثالث الفلسفة النورية السهروردية الذى دافع عنها غياث الدين منصور الدشتكى م ٩٤٨ و هو الصدر الأعظم فى عصر الشاه طهماسب فى كتابه «إشراق هياكل النور عن ظلمات شواكل الغرور» (ذ ١٠٣:٢ و ١٧٦:١٤ و ٢٤٠) و أجاب عن اعتراضات الدوانى (م ٩٠٨) على السهروردى فى «شواكل الحور» فى تصويره العالم هرما نورياً واحدا على رأسه نور الأنوار و اتّهامه بثنوية النور و الظلمة. ثم جاء بعدهم المولى صدرا (ص ٢٩١) و بدّل كلمة «النور» بكلمة «الوجود» ابتعادا عن ثنوية النور بالظلمة و تأييدا «لدليل التركيب» السيناوية لتوحيد واجب الوجود. و بعد صدرا تبعه تلاميذه كالحسين التنكابنى و كتبوا رسالات خاصة فى «وحدة الوجود» (ذ ٥٧-٥٥:٢٥).

و يشيرون بالاعتراض الرابع إلى قول الفلاسفة من الشيعة بعدم انقطاع الفيض الالهى أبدا و أزلا، و العالم فيض البارى فقام الداماد (المترجم له) بالجواب عنهم فى «القبسات» المطبوع ثانيا فى ٤٦٩٥ ص قائلا ما خلاصته:

أنا أيضا نقول بحدوث العالم، لكننا نقول بحدوثه دهرا و ليس حدوثه زمانا كما تقول به أهل السنة فلما اعترض المتزمتون على المير الداماد بأن ذلك ينافى ما فى الكتب السماوية، جاء المولى صدرا بنظرية «الحركة الجوهرية» فاعترف بالحدوث الزمانى كما أرادوه و لكنّه بصورة مستمرة فكل يوم هو فى شأن و العالم فى حركة دائمة لعدم و توجد فى كل أن و هذا هو حدوث العالم فى الزمان، و لكنّه مع ذلك لا يقول بمبتدأ زمانى لهذه الحركة لأنّه لا يعترف بانقطاع الفيض من الله عزّ و جلّ كما يأتى فى (ص ٢٩١) و راجع (ذ ٣٥٤:٢٤ و ٥٥:٢٥).

و يقصدون بالاعتراض الخامس ما بيته ابن سينا فى «الأضحوية» و الخواجه نصير الطوسى (م ٦٧٢) فى «آغاز و انجم» من أنّ اللذة و الألم الروحانيتان فى المعاد أقوى و أردع من الجسمانى. و هذه الاعتراضات كلّها مأخوذة عمّا لفقّه أبو حامد الغزالى (٤٥٠-٥٠٥) لدعم الحكومة العباسية و الدفاع عنها أمام الاسماعيليين فى مصر و جبال ايران من القانيات الى الموت بقزوين. فأجاب صدرا و تلاميذه عن هذا أيضا بتبديل كلمة «الروحانى» بكلمة «الجسمانى المثالى».

و كان ضغط العثمانيين هذا على الفلاسفة ينتقل بواسطة رجال السياسة الى رجال الدين المتحفظين فى داخل ايران. ثم يضغط هؤلاء بدورهم على الفلاسفة و ذوى الأفكار الحرة أمثال المير الداماد و صدرا و الفندرسكي و تلامذة مدارس هؤلاء بطرق مختلفة أهمّها كانت ثلاثة تيارات أشار إليها المجلسى م ١١١١ فى رسالته «المسائل الثلاث» (ذ ٥ قم ١٣٩) و هى: ١- الحكماء (اي المشائين ضد الاشراقين). ٢- الأخباريين ضد الأصوليين. ٣- الفقه ضد التصوف.